بُنيّة الحكاية في رواية ـ البحث عن المكان الضائع ـ دراسة سردية بنيوية

د . خديجة بوطيب عبدالقادر بوطيب. ـ جامعة الزنتان /كلية التربية درج

الملخص :

تدوربنيّة (1)رواية الكوني (2)حول أدب البحث،وهو أدب تنشأ حبكته حول بحث الابن عن أبيه أو الأخت عن أخيها،أو البحث عن المدينة الفاضلة (3)،وتشكلت من حكايات مختلفة متنوعة من حيث المادة والعرض اختلط الواقع بالخيال،وتماهت الأساطيربطقوس رمزية.كما نقف على أفكار مشحونة بالخرافة.وصفتْ الرواية رحلة الواحة تقريرياً وبلاغياً،وجاءت بنيّة الحكايات مكتنزة مكتملة ببعضها،وتنوعت البنى الحكائية في البحث عن المكان والزمان والإنسان.

والهدف من الدراسة:هوالوقوف على جماليات الحكاية،التي وظفتْ الخرافة والإحالات المكانية للأحداث التي جاءتْ بوصفها فضاءً متغيراً،وتطبيقا لأليات السرد،وكشفتْ عن **أمكنة وأزمنة ضائعة**.وجاءتْ الرحلة بوصفها مادة خصبة،لما أحتوته من مضامين واستلهام للأساطير.

أهمية البحث: تدورالرواية حول أدب رحلة البحث،وهو من الأنواع الأدبية،التي اختزلتْ في طوغرافية الواحة،واشتملت على تجارب مختلفة،نقرأ فيها عادات وتقاليد سادتْ.ونقلتْ وقائع ساهمتْ في إنتاج قصص وترانيم،وكشفتْ عن مقومات هوية،وجسدتْ قيماً روحية وأسطورية.ونقرأ فيها أيضاً مكابدة الرحلة من جهد وتعب،ورصدت تحولات الأمكنة والأزمنة،وتناولتْ الحلم التارقي وانكساراته.

ووقفتْ على يوميات أفراحه وأحزانه،والتي تغذو نواة للوعي بأمكنة ضائعة في أزمنة مفقودة،وكأنّ الراوي هنا يستحضر رواية "مارسيل بروست"، MarceI Proust،التي تمثلتْ بعدم البحث عن الزمن الضائع فقط،وإنّما البحث عن المكان المفقود أيضاً (4).ويحاول الكوني في هذا الفضاء أنّ يعبرإلى مكان يرجو بلوغه،لكن بعد جهد جهيد.

منهج البحث:اعتمدت على المنهج البنيوي،ولمايوفره من تحليل شبكة العلاقات وإعادة إنتاجها،وارتكزتْ آليات التصويرعلى الوصف.

أهمية البحث:ينطلق البحث من إثارة إشكالية :البحث عن أمكنة مفقودة ومقفولةعن أهلها،أمكنة طمسها الزمن، وسرقها التهميش،ورصد صراع الأمكنة وتنوعاتها عبر اختراق الأزمنة ،ويقوم النص على متواليات حكائية، بُنيت على دلالة مركزية عامة.

تقسيمات المنهج:أما عن أهم الحكايات التي نجدها في النصّ تأتي تحت مطلبين : أ ـ المطلب الأول : الحكاية الأسطورية .

المطلب الثاني :الحكاية العجائبية،وجاءتْ عبر أنساق فنيّة.وتنوعت الحكايات عبر أنماط وأسّس فنيّة، ووصفتْ أهم الظواهر التي صادفت الرحالة.

أ ـ المطلب الأول ـ الحكاية الأسطورية :

وقُدم الاستهلال عبر حكاية سردية،جاءت باعتبارها بنيّة عميقة،رسمت مسار الرحلة،رصدتْ خطوات أشباح العابرين،لذا،جاءت صورة عابر الواحة مبهمة وخطواته غامضة،و تمثلتْ بطلاسم تصنع النحس أو الخصب والتطير أو الخير.كماجاءت بوصفها رحلة تغريب وسفر دائم.ووضحتْ كيف تعامل الأهل مع العابر على هذا النحو: **" في أشباح العابرين قرأوا دائماً رسالة خفيّة: يحملون في أقدامهم المطر أحياناً،كما يجلبون للديار شروراً أحياناً أخرى"، ص 9**.فنرى كيف ارتبط قدوم الغريب،بجلب الشر أودلالة المطر التي أتت بوصفها شعيرة تدخل في دائرة القداسة والحياة،(5).

" ولهذا ساءلوا العرّاف عن نوايا القادم الجديد قبل أنْ تدب في الواحة البلبلة ،ولكن العرّاف (كعادة هذه الملّة الشقية التي لا تستطيع أنْ تشبع الفضول...بسبب أقواله الغامضة التي تذكر بالأحاجي وضروب الألغاز"، " ص9.

وختم الأبله الحكاية بما يوحي بأنّه الوجه الآخرللدرويش،الذي تكمن عنده الحلول ،**"إدهي" " فقد قال مالم يقله الكلّ عندما أعلن بعبارة أثارت استنكار العقلاء والدهماء على حدّ سواء: "الحق أقول:أفضل ما تفعلوه أنْ تنحروه الليلة قبل الغد"!" ص 10**.

وصيغتْ هذه الحكاية بهذا التشطي بين صمت ونداء ،بين :صمت العابر،الذي شُبه بالشبح لجهل ماضيه ومستقبله، ونداء الواحة،وجاءا على بعدين متداخلين:فالمستوى الأول يعود إلى بداية الحكاية،يظهرفيها ترقب عابر السبيل،بينما المستوى الثاني: ينتقل الحكي إلى حاضر الواحة بعد انحباس المطر عنها، ثم جُلي الحجاب، وظهرت الحقائق، **" عمّ الخلوّة سكون الصحراء الذي يسمّيه أهل الناموس بـ "نداء الأبدية". قال الأبله بلهجة من يخاطب نفسه: ـ أستطيع الآن أنْ أفهم لماذا لم تسقط قطرة مطر واحدة منذ حللتَ على ديارنا ضيفاً!.**

ـــ ماذا تريد أنْ تقول؟

ـ لقد اعتدنا أنْ يأتينا الأخيار بالغيث دائماً.في أقدام الأخيار.يتستّر المطر دائماً.هذا ما ورثناه في الناموس الضائع أيضاً.

تضاحك باستهزاء قبل أنْ يعلّق: ـ وكيف تريدني أنْ أحمل في قدمي مطراً إلى خلق يدسّون التمائم الفظيعة في كل زاوية ليتحصنوا من المطر خوفاً على جدران سجونهم الطينية من المطر؟ " ص 47 ومايليها.

و نرى في حكاية أخرى كيف قدم الكوني صورة نساء وكأنهنّ بُعثنّ من التاريخ ،يلفهنّ جمال الغانيات. وجسد الكوني وقائع يومية،لكن أعطاها مدلولاً واسعاً.ورسمُ النساء بهذه الصورة،منحهنّ بعداً أسطورياً، وربط الوشوشة بجمال الأنوثة،ممّاخلق تراكماً وصفياً،اختلط بالخرافة،**"تهيأ ليغطس من جديد،ولكن الوشوشة انطلقتْ مرة أخرى فتبين في الصوت حساً أنثوياً...وجد طابوراً من الحسان،فلم يدرعمّا إذا كنّ حساناً من بنات الإنس أم حساناً من بنات الجن.كنّ يتضاحكن بجسارة لم يعرفها في بنات الصحراء...بل وشهوة الغانيات التي سمع من زوّارالأوطان عن جرأتهن الأساطير.كن مكابرات ومتشابهات تشابهاً مريباً في القوام والقامة " ص 11.**

وتأتي مفردة الحنين بوصفها تيمة سحرية،واقترنتْ بصوت النساء،وهن يصدعنّ بالغناء،لذا،اكتسبتْ طابعاً روحياً،واختزل الغناء بطقوس توهيم الرجال مساً وطرباً،وجاءت بوصفها،ترتيلا شعائرياً للمعبود،**" ارتفعتْ حناجرهن الظمأى بأغاني الشجون،ودسسن في اللحون حنيناً قديماً،قدم الصحراء الخالدة،مرسول إكبار للمعبود القديم قِدم السماء الخالدة،انتظمت حلقة النساء في العراء الذي يجاور أبنية الواحة في الجهة الشمالية الشرقية،ويحدّ الحقول المترامية في جهة الجنوب الغربي،أقبل الرجال أيضاً،ولكنهم لم يتحلّقوا، بل تربعوا،بالقرب،في صف مهيب... فما كان من القناع المعبود الذي تصدّر عرش السماء إلا أن تخضّب بالمسّ والدّم فخرّ أرجل الرجال أرضاً" ص 27.**

وتشبه الحكايات في مثيولوجيتها،حكاية طقوس وشعائر وقرابين وأدعية،ومنحت بنيّة غناء النساء تناصاً نصياً **(6)**.انطوت على ولادة جديدة،لتخضيب الحياة (7).من هنا نرى كيف تشكلت مفاهيم بناء الرحلة، وكيف تمّ التفاعل الأسطوري مع عناصرالأحداث، لذا،باتت شعيرة الغناء،وكأنّها تعويذة سحرية،بعثتْ هوية المكان،وساهمتْ في التحررمن قيود عهد خفي.كما نقرأ تاريخ وتضاريس الواحة، **"وكان رجال ذلك الزمان ملة مهاجرة قدرها أن تحيا سعيدة مالم تستقر في أرض كما تفضي بنود عهد خفي ...**

ويُروى أنّ صاحب الأتان اللئيم هو الذي قادهم إلى البحيرة ليسمعهم الغناء من حناجر بنات الماء في حفل السمر الذي يقمنه كلما استوى القمر بدراً.سمعوا الغناء يوماً

فجنوا،وفقدوا سبيلهم إلى الأبد.فقدوا السبيل فركنوا إلى المكان كما يليق بكل عابر ضل السبيل" ص54.

وقد يغيب عنصرالتنقل في الرحلة،فتدورأحداث الحكايات في نفس المكان،لكنْ تستحضر وقائع تهجير وتصحرالواحة،ولذا،مثلتْ حكاية غناء بنات الماء بوصفها نواة لأسطورة، حيث يذكرأنّ أغاني الآبار والينابيع كانت في مرحلتها الأولى غيبية سحرية (8)،وامتد توظيفها بعثاً،لتجربة جديدة،**" الواحة في قديم الزمان لم تكن واحة، ولكنها بحيرة ككل البحيرات يلّفها الخلاء والسكون تتلألأ مياهها تحت أنوار السماء. في البحيرة كانت تعيش مخلوقات يُقال لهنّ في الناموس القديم "بنات الماء".وكانت هذه الجنيّات يتقنّ الغناء.لم يكن غنائهن غناء كالذي نسمعه من ألسنة الصبايا اليوم.ولكن ما نسمعه اليوم ماهو إلا محاكاة ردئية إذا قورن بغناء ساحرات البحيرات" ص 53.**

ونرى كيف تداعى الحكي لاستيعاب بُنى مكانية.تتقابل وتتباين : هوية وفقدان، فتبرز الصحراء مقابلة للواحة لذا ذكرتْ في سياق الأمومة،بينما اختزلتْ الواحة بمكان غير متكافي نفسياً وجغرافيا.لدى أصبحت الواحة أرضاً موبوءة بالأمراض،وهذا مانفهمه من الحوار الذي دار بين العراف وعابر الواحة ، **"هل جئتني أيضاً كي تدعوني لأنّ أشرب من مياهكم المسمومة؟**

ـ بل جئتُ كي أدعوك لأنْ تشرب من مياه الأرض المستعارة أيضاً من مياه السماء.

ـ مياه الصحراء وحدها مياه سماء،أمّا مياه الواحة فمياه حضيض.فلا تحاول أنْ تقنعني!" ص 59 ومايليها.

بينما تعكس هذه الثنائية صورة أمومة الصحراء المقدسة،وتدنيس الواحة ،**" وأهل الصحراء يؤثرون أنْ يتلقّوا من الواحات ابناً ضالاً يكاد يقفد جسده جوعاً،على أنْ يتلقّوا من الواحات ابناً ضالاً يحمل في جسده بذار الوباء.ذلك أنّهم لم يفررّوا عبر الزمان من أصفاد الاستقرار في أسوار الواحات إلا خوفاً من أعفان الجدران،وفساد الأهوية،واستشراس الأوبئة" ص 149.**

وشكّل الجبل بمرجعياته الواقعية والأسطورية،رمزاً مقدساً،يرقد تحته رفات الآباء والأجداد (9)،ووثق رموزاللاشعورالجمعي،وتغلغلت الأساطير في أعماقه،وكشف الجبل أسرار الخالق وتجلّية الخلوة (10).

كما ذكرتْ وسيلة الانتقال في الرحلة وهي الدابة،**" هجر الحقول وألتجأ إلى المقبرة.حمّل دابته أمتعته قائلاً إنّ أنسب مكان لمقام الإنسان ليس مجاورة الأحياء**

،ولكن جوار الأموات... لقد استطلع المكان مراراً منذ نزول الواحة،واكتشف أثناء ذلك أنّ الجبل ليس جبلاً كما يعتقد أهل الواحة البلهاء.

ولكنه أجداث الأجيال التي تتابعت في الواحة منذ أنْ تصحرت الصحراء واحتوت في أحضانها واحة، تراكمت المقابرعلى المقابر، وتفتتتْ الحجارة لتعلو أكوام حجارة أخرى...وتكدستْ عظام الموتى الذين خلفوا فوق جماجم الموتى الذين سلفوا وارتفعوا إلى الأعالي في بنيان جدير بأنْ يسمّى حَرماً لاجبلاً" ص 48 ومايليها.

وتتلاحق الصورالوصفية لرحلة الواحة عبرسرد وصفي تتخلله روحانية غامضة،ويأتي الجبل في قلب الواحة رصداً لتغييرات الزمن، **" تستلقي الواحة في حضيض تطّوقه من جهتي الجنوب والشرق شبكة السيوف الرملية، ويحدّه من الشمال عراء مفروش بحجارة محروقة بجحيم البراكين القديمة،تشقها وديان ضحلة تؤدي في النهاية إلى سلسلة جبلية مجلّلة بزرقة غامضة.أما في الغرب فيمتد خلاء سمح مغمور بالحصباء وبأتربة رملية مستوية.في قلب الواحة ينتصب الجبل الوحيد لم يكن جبلاً بالأصل، ولكنه صار جبلاً بتدفق سلطان اسمه الزمان" ص125.**

لقد اختزلت الرحلة مظاهر الواحة،وفسرتْ معالم المكان،جاءت بمدلولات (هوية،وثقافة)،وتوزعتْ الأحداث بين الأصل والتحولات، بين الحرب والسلام بين الوصف داخلياً وخارجياً،**"ويبدو أنّ الواحة قد عرفت في تاريخها الطويل ازدهاراً صنع لها بين الواحات أمجاداً كما خلق لها الأعداء،فتعرضت لغزوات الأمم المجاورة. تدل على ذلك بقايا السور المهدم الأقدم عهداً...ذلك أنْ دنيا الصحراء جرّبت أنّ الواحات لاتسجن نفسها داخل جدران الأسوارإلا دفاعاً عن نفسها من بطش الأعداء،كما جرّبت أيضاً أنّ الأعداء لا يشنّون الغزوات إلا على الواحات التي عرفت الرخاء، " ص 125ومايليها**

وتُقدم الواحة المرأة باعتبارها وطناً تشد به الأوتاد.وتؤسس هذه البنيّة سلطة المرأة في المجتمع التارقي، ونرى كيف استعادتْ الحكاية صورة الفقد والترحال،**" فقد استحسن فتاة من بنات الفلاحين فقال لنفسه يوماً" لماذا لا أفعل اليوم ما يجب أنْ أفعله اليوم ما يجب أنْ أفعله يوماً؟ لماذا لا أسلم أمري وألتصق بامرأة كما ألتصق أسلافي بنسائهم من قبلي؟". ولم يعلم إلا تالياً أنّه ارتكب خطأ آخر يوم قرر أنْ يقدم على أمر لم ينله وصيّة من سلطان العقل، ولكنه علّقه في رقبة أسلافه.اقترن بسليلة الواحات فصارت له المرأة في الواحة وتداً" ص39.**

كما تستعيد الرحلة " عين ماء "،تصفها والزمن الذي طمرها،ووظفتْ باعتبارها حكاية خرافية تهب الأمن والاستقرار،**"أما عين الماء الواقعة في حدود الواحة الجنوبية الملاصقة للرمال،فإنّ الأجيال تروي أنّها كانت جزءاً من البحيرة الكبرى قبل أنْ تزحف عليها حملات الريح الرملية في زمان لايذكره أحد.وقد تقهقرت شمالاً في سيرة الدفاع عن النفس حتى احتمت بالصحراء الحجرية ... وعندما أغوت بنات الماء رجال الصحراء ليتخلّوا عن هجرتهم الأبدية ويستقروا ليعمروا الخلاء ويزرعوا الأرض،استطعنّ بهذا العمل المدهش وضع حجر الزاوية في بنيان العمران الذي اسمته الأجيال فيما بعد واحة" ص 126.**

ورصد الراوي الأمكنة المهجورة،وطرق الأبواب الموصدة،بحثاً عن" تانيت " المرأة الربّة،كما وقف على صراع الأمكنة القديمة والجديدة،غير أنّه بالرغم من بؤس المكان والخراب الذي يسكنه إلا أنّه وصف بيوتاً جديدة موسومة بعلامة الربة "تانيت".

وجاء البعث بوصفه استعادة لأمكنة مفقودة وهوية ضاعتْ،**" هام الأبله. ذهب إلى الحقول. تخفى وراء شجرة التين ليراقب العين...تسلق السيوف الرملية تطاول في الحزام الرملي الذي يطوق الواحة من الجنوب. صعد الرابية. داس الأجداث ودحرج الجماجم قبل أن يتوقف عند خرائب الضريح التي اتخذها الدخيل مقاماً.هناك تسمّع ولكنه لم يسمع...**

عبر بيوت الطين في الشمال انحرف يميناً.دخل طريقاً تتخلله بيوت بنُيت حديثا.توقّف أمام بيت مرشوش بالجير،تعتلي هامته علامة مجسمة للربة " تانيت" قرع باباً مرصوصاً من جذوع النخيل موسم بعلامة للربة في مثلث نحاس.انفتح الباب فتبدّتْ الحسناء. ابتسمتْ.تنحّتْ.ولكن الزائر لم يدخل.قال بلا تمهيد:

ـ حدثتني الألسن فقالت :إنّ بنات الماء وقعن في غرام صاحب الدهاء!" ص 215.

وتأتي رحلة الراوي والتي اسماها بالرحلة رقم سبعة،بوصفه رقماً مقدساً،يتطلع علينا من القرآن الكريم والكتاب المقدس وكتب السحر المصرية،(11)،ويكرس الرقم باعتباره بعداً لطواف حول مضارب الواحة. وتمثل بطقوس سحرية تشمل تمائم سلالة وأسماء،وألقت الرحلة الضوء على آليات طقوس الخرافة وعلاقتها بالشعائر.وأفضتْ إلى معرفة الأسرار، (12)على هذا النحو:**" ..."تعجّبتْ " تفران ": ـ هل فتّش مولانا في أحضاننا عن امرأة فقدها؟**

أجاب بل تردد : ـ يقيناً . لو لم أفتش فيكنّ عن المرأة المفقودة لما وهبتكن التمائم من صلبي.

هل قلت التمائم؟

ـ وهبتكن سلالتي أسمائي.وسلالتي أسمائي.و أسمائي تمائمي . تمائمي في الرحلة بذور اغتراب لا نواة هجوع...

ـ عاد السكون.تساءلت "تمريت": ـ هل في سربنا بُعد مفقود؟

ـ العدد السادس في ناموس الأسحار رقم الخطر مالم نضف له رقما آخر...

ـ أنا سرّكنّ .أنا نميمتكنّ .أنا اسمكنّ الضائع.أنا بُعدكنّ المفقود.أنا مَن فتش في أحضانكنْ ليجد فيها نفسه.أنا مَن فتشتنّ فيه عن رجلكنّ المجهول، لتجدن في أحضانه حقيقتكنّ الضائعة.أنا البعد السابع " ص 180ومايليها.

وعرض الحكي صوراً من العلاقات بين الرجال والنساء،واستخدم التباين هجرة وركوناً،وغناءً وجنوناً، وتنطوي الحكاية على نداءين :نداء سماء،ونداء الأرض، **" وكان رجال ذلك الزمان ملة مهاجرة قدرها أنْ تحيا سعيدة ما لم تستقر في أرض... سمعوا الغناء يوماً فجنّوا،وفقدوا سبيلهم إلى الأبد...فركنوا إلى المكان كما يليق بكل عابر ضلّ السبيل. لهذا السبب تراهم يجدبون ويتمردون ويحاولون أنْ يحطموا أغلالهم كلما سمعوا الغناء ووقعوا في نوبات الوجد" ص 54**. ونلحظ تكرارحكاية بنات الماء في رحلة البحث،وقدجعل منها نواة لسلسة من الحكايات الأسطورية،كما أنّها ساعدتْ على استعادة أزمنة ضائعة (13).

واختار الغريب ضريح ولي متهالك إقامة له ،وجاء المكان بمثابة انتقال من الأمكنة الواسعة إلى أمكنة مغلقة مظلمة مهجورة،وكأنّه وجد في هذا المكان ما يغنيه عن الناس،بل كشف عن علاقة الغريب بهذا المكان،الذي حفل بالعديد من الإشارات الصوفية،جاءت بوصفها حلولاواتحاداً، **" في أحد الأيام ،في ليلة ظلماء،في قلب واحة ضائقة في صحراء لابداية لها ولانهاية،دب شبح مريب...واجتاز الخلوة الملاصقة لخرائب السفح،وأقبل على حقول المقابر التي تتسلق خاصرة الجبل الجنوبية حيث اتخذ الغريب في قبو أحد الأضرحة لنفسه مقاماً..."ص 142.**

وتتخذ رحلة العابر ملمحاً أسطورياً،فتتفق فيها رموز البعث عبر خطى البحث المضني،فجاء هذا الحوار بين الغريب والضيف الشبح،وكأنه إضاءة،تلخص علاقة الموت بالحياة،والماء والواحة بالجذر،**"تنهد الزائر بخيبة.قال بحسرة: ـ شربنا من مياه الجذور،فأنبتنا في الأرض جذوراً،دون أنْ ندري.**

ـ ملعون الجذر الذي يسقينا هلاكاً حتى لو سقانا في الماء أنفاساً.

ـ آهً،ثم آهٍ،

ـ أنبل ما في قلب المهاجر الحنين.من لم يمت في قلبه الحنين لا يخيب.

ـ الحنين ما تبقى.

ـ بالحنين حقّق أسلافنا البطولات.بالحنين قال أسلافنا الأشعار.بالحنين حفر أسلافنا وصايا الناموس في قلوب الرجال...

ـ آهٍ ثم آهٍ .. أنت تحسن بأهل الجذور الظن عندما تحاول أنْ تحيي العظام وهي رميم.

ـ إحياء العظام وهي رميم رسالة النبوءة" ص147ومايليها.

وإلى هنا نرى كيف جاءت بنيّة الرحلة،وهي تجمع بين الماء والسيوف الرملية،والجبال والواحة والصحراء،والظلام والنور،وهذه الجدلية خلقتْ نوعا من التكامل والشمولية في الطرح.وأسست بنى أسطورية ،غذاها الموروث التارقي. كما جعل من الغناء طقوساً موسيمية للتكاثر والحب والعطاء.وتجلت مفردة الوشوشة بذات نسق موسيقي،ارتبطتْ بالتخفي والتجلي. وجسدت الرواية صراع الصحراء والواحة، وكأنّ الكوني تمثله برؤية صراع المدينة والقرية (14).

المطلب الثاني ـ الحكاية العجائبية:

تعج حكايات الكوني بالعديد من الوقائع والأحداث الواقعية،غيرأنّه هناك أحداث امتزجتْ بالخيال، ممّا منح الحكايات أبعاداً جديدة،بعثت الشوق والإثارة(15)،وتوغلتْ الحكايات في سرد فنون السحر،واستخدمتْ في تعاويذها عقاقيراً، فنرى كيف وضع الغريب العقار في "عين ماء" الواحة،وكأنّ جعل منه مكاناً ذا أبعاد أسطورية،فهو بمثل ما كان سبباً في تأسيس القبيلة واستقرارها(16) .

ولكن قد يكون الماء سبباً في دمارها على هذا النحو:**" تأبط الصرة وخرج. استيقظ قبيل السَحر.لجلج بتعاويذه المجهولة مبكراً،ثم دسّ رأسه في أمتعته. استخرج الجراب المهيب المنمنم بتمائم الأولين.تناول من الجراب حفتين من مسحوق الأعشاب المريب .دسهما في صرة جلدية أصغر...فثبتها تحت الإبط وخرج. ...وتغلغل في أحراش النخيل حتى وقف فوق العين ...**

تمشى في الأرض المؤدية إلى السيوف الرملية المجاورة للعين حافياً. خلع ثيابه وركع عند حافة الغمر ..ودخل الماء...ولكنه،عندما خرج،لم يتردّد في انتزاع الصّرة الجلدية من كم الجراب.فك رباطها بهدوء ...ثم تقدّم من الغمر الجليل ليطرح في يمّه نثار العقار الخبيث...وتمتم بالتميمة بصوت مجهور: كن يامولاي الماء في العراك معيني ...وراقبها وهي تتدافع وتنشر بلهفة الممسوسين حتى استولت على الغمر كله"ص26، 85ومايليها.

وتقف الرواية عن حكايات مملؤة بالسرد الخرافي،حيث تبرز لنا صورة الأبله " الدرويش"، وهو ما أضفى على الشخصية ملمحاً أسطورياً مثلاً: جهل نسبه حسب ماورد عن أهل الصحراء ،" **ويقال أيضاً نقلاً عن أهل الصحراء أنْ الشقيّ ظهر لأول مرة في قطيع لأمرأة من الإماء.وجدته يندس في زحام الماشية ملتقماً ضرع مغزاة مغمغماً بأصوات رتيبة...فقرأتْ على رأسه التمائم المستعارة من لغة الأولين المجهولة، وانتظرت أنْ تقبل عليها أمّه لتستعيده دون جدوى،فما كان منها إلا أنْ لفته في لحافها وعادتْ به إلى بيتها لتصنع منه ابناً لم تنجبه من بطنها" ص31.**

ونُسب الأبله حيناً إلى مجهول،وأحياناً إلى الجن،وهذا التداخل منحه غموضاً وصراعاً داخل الوسط الاجتماعي،ومدّه بصفات خارقة.كما أشارإلى الوعي بسلالة تارقية بالغة القدم،" **كان الأشقياء يستفزّونه ويرمون في وجهه بلقب " اللقيط"...ثم يحزن فجأة حتّى تلتمع الدموع في عينيه ويقول وهو يرنو إلى الخلاء الأبدي الفسيح:"كلنا في الصحراء لقطاء! .لكن الأشقياء....يردّدون:"أنت ابن الجنية!"، فيجيبهم هازئاً أيضاً: "أنتم أبناء الآباء،وأنا ابن السماء" ص33ومايليها.**

كما نرى كيف ارتبطت حياة الأبله بحكايات شعبية ،تبارك نبوءته،وترصد أفعاله وسلوكه،" **استخدمته النسوة منذ الطفولة المبكرة في استجلاء الغيوب وإخبارهن بأنباء أحبابهن الذين اغتربوا في طقوسهن المثيرة.وقد ذاع صيته في التنبوء من بين كل الصغار الذين استخدمتهن نساء القبيلة في حفلات ما اعتدن أنْ يطلقن عليه "استحضار الغائب"،فتولى أمره العقلاء ابتهاجاً بميلاد النبوءة في ربوع القبيلة،بعدما أخضعوه للاستجواب ليالٍ...بعثوا به إليه ليعود بالجواب.عاد لهم الرسول بالجواب...وعندها تحقّق النبأ أذاعوا في القبيلة ميلاد العرّاف! " ص 39ومايليها.**

وتكتسب الكهوف بعداً رمزياً إذ،تروي حكايات خرافية ،فنرى كيف دفنت في باطنه الكنوز،وأخفت الجن تمائمها به، ووظف بوصفها رحماً تولد بجوفه أسرار المعرفة.

ولذا، سلط الضوء على حوار الغريب وإلتقائه بالجني الملثم، **"في اليوم التالي نزل إلى الحضيض ونهل في الماء واقتات أعشابا في قاع الوادي ... وانطلق يستكشف الأرض.وجد آثاراً لإبل،ورماداً لنيران الرعاة، ولكنه لم يدرك أحداً حتى حلّ المساء، فركن.**

اعتل السفح واعتصم بالغار.هجع فغفا في الحال ولكنه لم يلبث أنْ اسيقظ بفعل هرجة.بحث عن أصحاب الهرج في مدخل الغار،ولكنه لم يبين أحداً. زحف خارج الكهف

فوقف فوق رأسه رجل ملفوف في أثواب العتمة الزرقاء من اللثام حتى القدم. نهض فوجد نفسه مع الشبح وجها لوجه..هل أخاطب إنساً أم جناً؟

أجاب الشبح في الحال : في كهوف تاسيلي كثيراً ما نقابل أناساً في أبدان الجن،كما نقابل الجن في أبدان الناس.

ـ ولكنّا نستطيع دائما أنْ نحتكم إلى التمائم.

ـ في كهوف تاسيلي دفنتْ قبائل الجن أقوى التمائم،ولا تميمة هنا إلا تميمة إنسان لم ير فرقاً بين إنس وجن " ص 117 ومايليها.

كما استُحضرالكهف بوصفه مستودعاً للأمانات،ونرى كيف لعب السحر دوراً في تحريرهذا الكنز من الجن،ويشير السياق إلى معتقدات وملامح خرافية، **"سار مع التواءات الوادي جنوباً حتى بلغ الكهوف التي اعتاد أنْ يخفي فيها مستلزمات أسفاره: القِرب، الدّلاء،السروج، الجبال،الرماح،السيوف،النبال.في الكهف القديم،المزبور برسوم الأولين،اكتشف اختفاء السرج،ولكن القربة مازالت معلقة في سقف الكهف حيث تركها منذ عام أويزيد...وقف في قلب الكهف في خشوع من انتوى أنْ يتعبد.يمّم صوب الفوهة وخطا إلى الأمام خطوة،خطوتين...ثم خطا خطوتين قبل أنْ يركع أرضاً ويبدأ الحفرفي أسفل الجدار" ص120 ومايليها.**

وينفتح قلب الكهف بكلمات أشبه بتمائم سحرية،تتمتم بها الغريب ،**فـ "حرّر الكنز من أهل الأسافل الذين وضعه في أيديهم أمانة كل هذا الزمان، فامتلكوه ولم يكن ليستطيع أن يستعيده منهم بدون كلمة السر، بدون مراسم خشوع،بدون قراءة تمائم الملل الأولى.حفر طويلاً.استخرج تراباً،ثم حجارة،ثم كنزاً مجسداً في سيف نحاس ورمح ...والمعادن كنوز مثلها مثل الذهب "ص121.**

وتأتي وصفة الشفاء من الأمراض المستعصية،وهي لاتخلو من طابع سحري، فنرى كيف عقد تاجر الواحة صفقة مع الغريب لكي تتعافى زوجته من عقم طالها، **" اليوم جاء إلى السوق ممتطياً ظهر الأتان. أوقفها عند جدار بالجوار ...تقدم إلى الساحة فهرع إلى استقباله كبيرالتجار...استقوفه في الخطوة التالية قائلاً: ـ أغنيك عن التجارة هزّتني إلى حد أنّها ألهمتني صفقة؟**

ابتسم كبير التجّاربخبث التجار قبل أنْ يقول: ولم لا؟ في عُبّ كلّ منّا تتخفى صفقة؟ في قلب كل مخلوق ترقد أمنية يمكن أنْ تنقلب صفقة.في باطن كل إنسان صفقة.المرأة حبلى بجنين، والرجل المحمّل بصفقة" ص 126،127.

وتتم الصفقة بمبادلة الترياق بالشعير وتمور واللحم المجفف على هذا النحو:" ...

أردتك أنْ تشتري منّي بشارة مقابل ثمن بخس!

ـ بشارة بثمن بخس؟

ـ تبيعني شعيراً وتموراً ولحماً مجففاً مقابل الترياق!

ـ الترياق؟

ـ في عبّي ترياق لمداوة الوباء الذي يهدّد بطون نسائكم.

ـ هل تسخر؟....ـ تستطيع أنْ تجرب الترياق بامرأتك،فإنّ أخفق دفعتُ لك ثمن سلعتك مضاعفاً ببعائري التي تسطيع أنْ تبعث لها أعوانك في "دنبابة" ص 129.

ويأخذ العلاج منحى غرائبياً ،إذ،ترتبط طقوسه بقراءة التمائم والخلوة بالمريضة والكتمان على هذا النحو: **" أنت تعلم أنْ استخدام العقار يحتاج إلى قراءة التمائم..**

ـ أعلم.

ـ أنت تعلم أنّ الترياق نبوءة،لاتنمو إلا في رحاب الخلوة.

ـ أعلم....

ـ أنت تعلم أيضاً أنّ قرين الإخفاق البلبلة،والقبائل لم تعرف فلاح أمر لم يلفّه الناس بقماط السكوت.

ـ أعلم .

ـ ابعث لي امرأتك الليلة،وسوف ترى العلامة بعد أسابيع" ص 130ومايليها.

ويستحضر تلوث الواحة طقوساً قديمة،إذ،تنظر إلى الغريب بوصفه نجساً،غير طاهر،ولهذا محرم عليه الاقتراب من المعابد (17)، ومن هنا نرى كيف ربط الأهل بين حلول الغريب وقحط الواحة.كما يكشف تناوب الطرح عن عقلية الواحة ورفضها للآخر، **" في الخارج عاد العجاج ينوح.في الداخل استمرّ الوجوم.تكلمّ العرّاف بعد زمن: ـ أكاد أجزم بأنّ العيش في أرض بلا ماء أهون من العيش في أرض فسد فيها الماء.**

حاججه ولي الأمر: ـ هل هذا إيذان بالاستسلام لمشيئة الغريب؟

... تدخل " إليلي": ـ ما أعلمه أنّ فساد المكان رهين بفساد الماء.

عاد "إور" يجادل: ـ لو فسد الماء لعلّة مجهولة لقلنا إنّ البلاء رسالة من رسالات الخفاء،ولكن الكل يجمع أنّ السرّ مطمور في تلابيب الغريب" ص189ومايليها.

وسردتْ أنشودة واحة "واو"الضائعة حنيناً أبدياً،وظهرت بوصفها مخزناً تراثياً، يعود إلى عصورما قبل التاريخ،ومثلت بأرض الميعاد،**" وظننتُ مثلك يوماً أنّ اللهفة إلى**

"واو" المكان هو سرّ الأشعار،ثم ظننتُ أنّ التوق إلى " واو" الأزمان هو سرّ عشقي للأشعار.ثم أدركتُ أنّ"واو" المكان لن نجدها بالمكان، و "واو" الأزمان لن نستعيدها بالزمان.الشعر يامولانا الغريب قصاص لأنّه يعلمنا مالايجب أنْ نعلم" 169.

ونسج **العطر** رحلة الاستعادة في رحلة التغريب،وجاء بوصفه لغة للجسد،كما مُثل بانبعاث للأمكنة والذات **" أنحنتْ فوقه أيضاً فغمره عطرها.عطرها الحقيقي.عطر المرأة،لاعطر الرّتم...العطرالذي يخدّر الرجل. العطر الذي يصنع الرجال أبطالاً كما يخلق من بعض الرجال أرزالاً.العطر الذي يقود إما إلى الحياة،إما إلى الجنون.العطر الذي يبدع الحياة بنفس الروح التي قد يبيد فيها الحياة إذا شاء : عطرالأنثى! عطر الحسناء التي تحيي إذا شاءتْ أنْ تحيي،وتميتْ إذا شاءتْ أنْ تميتْ:تحيي العظام وهي رميم" ص 20.**

وشكل اللثام عنطراً من عناصر الكينونة،واكتسب وظيفة ميثولوجية،إذ،ربط إرتداؤه بذنب قديم،حينما أخرج جده آدم من الفردوس السماوي،كأنّ هذا الذنب عاد وبنفس قوة الإثم القديم.واستعمل اللثام أمام نساء ورجال القبيلة،لأنّه يحفظ الذنب القديم في الظلام.وتحوّل ارتداء اللثام إلى ظاهرة اجتماعية(18)، **" من حق سلالة الصحراء أنْ تنكر مخلوقاً تنكر.وقد صدق الناموس المفقود عندما أوصى بإنكار كل سليل قبيلة نزع اللثام لأنّه تنكر،كما أمر بإكباركل سليل قبيلة وضع اللثام حتى لوانتمى لقبائل الأغراب أو نزل الصحراء دخيلاً" ص 26.**

وتقف حكاية الموت على مشاهد أكثر غرائبية،حيث تصف تسلل الأبله إلى وكر الداهية ليلاً،ونقرأ كيف تكاثفت الصورلتجسد خوارق سحرية،منها : قمر آفل، وضوء شاحب، وظلام دامس، ومدية سحرية، أذنان إتان، لذا،عانى الداهية صراعاً شديداً بعدما هوت المدية على صدره،ونرى كيف تحول إلى قرينه الثعبان ،ثم ظهر في صورة فتاة الماء، وهي غارقة في بركان من الدم.

و حكت بعض الأساطيرالقديمة عن رمزية تحول الثعابين،وجاءت بوصفها رمزاً للحبّ الحقيقيّ،كما عبر هذا التحول في الملهاة عن انتصار الغواية على الزواج،**"عندما تسلّل "إدهي" إلى الدهليز في الهزيع الأخير من الليل كان القمرالآفل مازال يسكب ضياءه الشاحب على الخلوة الكئيبة الملاصقة لقدم الجبل...تحسّس المدية في كمّه ...تأمل الركن حيث يتكوّم الداهية حاسرالرأس.أذناه كبيرتان كأذني أتان... ولكن مدية السحر هذه سوف تضع حداً لعمله لأحلامه. لمكائده.لشره...هوى بالمدية على الصدر.غاصت بيسر مريب.غاصت في الصدر...اشتم رائحة غريبة.**

ورأى خضاب الدم يغمر نصل المدية...كافح ليتحرّر.رقد على ظهره وهو يحشرج.يحشرم.الحشرجة انقلبت فحيحاً "ص 233،232،231.

و يمُثّل تحول الثعبان إلى هيئة امرأة شابة، بوصفه رمزاً للنار المقدسة (19)،وجسدتْ هذه التحولات انبعاثا وميلاداًعلى هذا النحو:**....أبصرفي البدن تحولاً مريباً.اكتسى لوناً باهتاً فجأة.اكتسحه شعر أشعث أيضاً.تبدى أخيراً ثعباناً هائلاً يتلوّى ويتشكى بفحيحه الفضيع...زال الأفعوان الذي يتلبّس الجسد وحل في المكان جسد آخر... جسد " تمريت" وليس جسد "الداهية"،ولاجسد الأفعوان" ص 233 ومايليها.**

و تحوّلت السيرة الذاتية للأبله فضاءً أسطورياً خارقاً،تكشف عن نسبه،كما تومىء هذه الإضاءة ،على رسوخ أسطورة السلالة الطوطمية في المجتمع التارقي.وأتكأت الحكاية على الاسترجاع،وجاء ت عبر أزمنة متقطعة من ماضٍ إلى حاضر،وسردتْ على لسان كبيرالقوم، "إسان"لـ ، الداهية ،أب الأبله على هذا النحو: **" فرغ "إسان" من تناول طعام العشاء، وهمّ بأنْ يسرح في الخلاء تلبية لنداء العبور، ولكن شبحاً اعترض سبيله قبل أن ينطلق فتواجها فوق المرتفع المشيد من أجداث الأولين.**

...منذ سنوات بعيدة كانت الصحراء تختنق بالكلأ والقبائل عاش حميمان...كانا لايطيقان أنْ يحيا أحدهما بعيداً عن الآخر ...وقد اقترن أحدهما مرّة بحسناء من قبيلة مجاورة أنجب من بطنها ولداً...ولكن المرأة اعترفت له بأبوة القرين للولد...ولكنها ذكرته بالثعبان الذي وجده يوماً حول جسدها ثمّ انقشع عنها كما ينقشع السراب.قالت إنّ ما رآه يومها لم يكن ثعباناً إلا في بصره،ولكنه في الحقيقة قرينه اللدود" ص239ومايليها.

ويظهر الحكي تحولات الحكاية إلى بنيّة عميقة،ترصد عمق الأسطورة وتعدد التحولات وإلتباس القرين "إسان "،بزوجة كبير القوم،وعالجت الظاهرة في لحظتها الأسطورية،**"... رفع رأسه إلى الأنجم وقال... ذهبتْ بالوليد إلى المرعى وتركته في قطيع لقبيلة مجاورة. وعندما استنطقتها قالتْ له إنها فعلت ذلك لتحرق قلبه...**

تساءل بعدها بصوت غائب : هل تدري من ذلك القرين؟

قال إور:" بلا اكتراث: ـ...هو أنا....وهل تدري من كان الحميم الذي أنجبت منه المرأة وليدها؟

ـ إنّه أنت!

ـ لقد وجدتك تلتفّ حولها كالثعبان فلماذا تنكر قدرتك على التحول؟

ـ وهل تدري من هو هذا االوليد الذي أنجبته... إنّه الأبله" ص 243 ومايليها.

ووظفت حادثة مقتل الفتاة "تمريت"،باعتبارها انتهاكا للناموس الضائع، لذا جاءت حكاية القصاص، تصويراً لغضب الطبيعة. **"في الليلة التي سبقت إنزال القصاص بالأبله هبّ على الواحة عجاج.ولم يكن هبوب العجاج ليستثيرالقوم لولم يخالف عجاج ذلك اليوم ناموس العجاج ...ولكن رياح الغرب سرتْ ليلاً هذه المرة...سرتْ بحقد لم تعرف له الواحة مثيلاً..طار بأكواخ الأطراف ونزع سقوف الأبنية، وأطاح ببعض الجدران...هام الأهالي على وجوههم بحثاً عن الأهالي فصرعهم المارد في منتصف السبيل ..." ص 247 ومايليها.**

و تنوع وصف الأهوال التي حلت بالواحة،من هلاك الأنفس والمواشي والاشجار،وجاء ردم عين الماء امتداداً،لموت الواحة،ووظفت القوى الكونية،باعتبارها رمزاً لـ "الإله المعبود"على هذا النحو: **بعد نيل القرابين هدأ ...لكنها مهلة كانت كافية كي يكتشف فيها القوم ما حلّ بأرضهم من خراب...هلاك المواشي، وتحطيم أشجار النخيل،وزحف السيوف الرملية الجنوبية على العين ... قال "إليلي " : ـ استنكرنا بلاء الماء،وهاهو البلاء الأسوأ من الوباء" ص 248.**

وأضاف العرّاف **: " ـ كل من تلكّأ في استنزال القصاص نزل على رأسه القصاص" ص 249.**

وأضاف أحد الحكماء**: " لقد انتزع قرابيناً كثيرة.بل ها قد صارت له الواحة كلّها قرباناً" ص249.**

وتحاط مرثية القصاص من "الأبله"، بهالة من الغرائبية، تنقلنا من الواقع إلى الأسطورة.وجسد القصاص ناموس القبيلة وتداعى عبر تشظي الزمن ،**"في يوم القصاص جاء الأعوان بالأبله مسربلاً في القيود فرفر الريح في وجه الركب أنفاساً سخية من الغبار،فاحتجب الرجال عن الرجال حتى أنّهم لم يجدوا حيلة إلا النداء كي يهتدي بعضهم إلى بعض. وراء الرابية التأم العقلاء في حين تغيب كبير القوم عن الجمع.تقدم العرّاف من الأبله ليتلو في وجهه وصيته التي قال إنّه استعارها من الناموس الضائع: ـ عين بعين،وسن بسن،والقاتل إن لم يقتل أنزل بالناموس الخلل!... عوى الريح ملقياً في الخلاء بأفواج جديدة من الغبار الكثيف"ص 251ويليها.**

و يتحول الأبله في هذا المشهد إلى رمز تطهيريّ،ويوميء لفظ "مولاي"، بروحانية الانفصال عن الأرض والاتصال بالسماء،فـ **"أومأ العراف للأعوان بتنفيذ القصاص.ساعتها سمع الجمع صوت الأبله لأول مرة.قال بصوت بحيح، واهن، غريب، لايشبه صوت "إدهي" الذي عرفوه في شيء:**

ـ فكوا قيدي كي أنادي مرّة.
تقدم منه العرّاف...سأله بدهشة: ـ من تريد أنْ تنادي؟
أجاب الأبله بذات الصوت: ـ مولاي!
استهجن العرّاف بسؤال قاطع : ـ وما فائدة أنْ تنادي أباً أنكرك.
تمتم الأبله: أنكرني أب الدنيا المزعوم،ولن ينكرني مولاي!...تردّد العرّاف لحظات.التفت نحو جمع العقلاء فحالت بينه وبينهم موجة غبار جديدة.أومأ للأعوان أنْ يفكّوا قيده" ص252 ومايليها.

وتمثلت رحلة "الأبله" بالصعود إلى الأعلى على هذا النحو: **"... صاح العرّاف: ـ تستطيع الآن أنْ تنادي طليق اليدين والقدمين! ولكن النداء لم ينطق من لسان الأبله...همّ العرّاف أنْ يعيد،ولكن زئيراً منكراً اختطف من فمه العبارة وكاد يصيب أذنيه بالصمم.بعد الزئير المنكر اجتاحتهم قوة ماردة طوّحتهم بعيداً ...اهتدوا إلى بعضهم البعض،ولكنهم لم يعثروا للأبله على أثر" ص 252 .**

وصوّرتْ رحلة الغريب واقعاً معيشياً متداخلاً بالفانتازيا،وقرنت أمثولة العبور عنده بالقلب،**" هل نخالف الناموس إذا هجعنا بأبداننا،واستطعنا برغم (20) ،ذلك أنْ نرحل بقلوبنا؟**

ـ ...لماذا لانعلم الناس أنْ يحصّنوا الوصايا برحيل القلب بدل رحيل البدن؟" ص 186ومايليها.

كذلك ربط العبوربالخلوة الصوفية، **" استحم " إسان" في العين... يومها أقبل عليه في خلوته كبير التجار الذي لم يره منذ أمد طويل.صاح في البُعد مازحاً**
ـ ظننت أنْ الناس تنزل الواحات طلباً للاجتماع لا للخلوة!
ـ فأجابه مازحاً أيضاً:ـ وأنا ظننت أنّ الخلو الأقسى هي خلوتنا بين الناس لا خلوتنا في رحاب الصحراء.
ـ أعيتني الحيلة في لقائك.
ـ لابدّ أنْ تعييك الحيلة للقائي لأني لا أتخلى عن ناموسي في العبور حتى وأنا أهجع بين الأهالي في الواحات!" ص 206ومايليها.

كما جاء العبوربوصفه يقيناً مطلقاً، **" بعد اكتمال المساء حلّ بباب دهليزه الضيف الذي انتظره طويلاً. وقف في المدخل كشبح من أشباح الجن.لم ينبس بالتحية...لكن الشيخ تكلم أخيراً..ـ الحق أني لم أقبل لأجادلك في البلبة ولكن لاستفهم عن اليقين؟**
ـ عن اليقين؟

حدثه بلهجة لاتخلو من استنكار:

ـ تستفهم عن اليقين؟

ـ عن العبور.

ـ ها ها ..لقد تكلمنا عن العبور كما لم نتكلم عن أي شيء في دنيا العبور هذه!

ـ أردت أن أقول لك : إن الصحراء هي التي هجرتنا ولسنا نحن من هجر الصحراء.

ـ ... هذه حجة الدهماء.الكل يتحدث عن بخل الصحراء بالماء كلما احتاج أحد ما إلى ذريعة يبرز بها خيانته لناموس الصحراء.وبرغم هذا كله لم أسمع بمخلوق مات فيها لاجوعاً ولا عطشاً " ص224 ومايليها" .

وهكذا نرى كيف وظفت الرحلة خطوات العابر التي كانت مبهمة في أول السرد،إذ،تفسر بمفهموم عبور، يستعيد به ابنه المفقود"الأبله"،وهذا ما أكده كبير التجار،**"ولكن "إدهي" سليلك المفقود أليس كذلك؟**

ـ لا نستعيد إلا مانفقد.

ـ ماذا تريد أنْ تقول ؟

ـ أردت أنْ أقول إني أكملتُ لكم وصيتي،ورضيتُ لكم العبور يقيناً" ص256.

إلى هنا نرى كيف تحقق العبورعبر التطهير،أو الإدراك، وكيف عبر الرحالة "الداهية"بجموع أهالي الواحة،بعد أنْ بعث المفقودين من القبور،وبعث مدناً من الجذور،وبعث الناموس الضائع،**" في الغد سأمتطي أتاني وأسلّم زمام أمري لسلطان العبور من جديد.**

سحب "أمجار"نفساً عميقاً.قال بيأس:ـ سأفتقدك كثيراً.سأفتقدك كما لن يفتقدك أحد في هذه الواحة المنكوبة!

ـ لن تفتقدني،لأنك ستلحق بي قريباً.

أطلق كبير التجار أنين وجع.قال: ـ صدقت.سنلتحق بالركب كلنا عاجلاً أم آجلاً بل عاجلاً."ص 256ومايليها.

ومن هنا نرى أنّ أمثولة العبور اتصلت بتاريخ وحركة التوارق،وحققت رحلة العابر،وهي استرجاع المفقود:سلالة ومكاناً.كما رمزتْ الواحة باستعادة الابن التاهه.وكان هذا العبوربمثابة استعادة للماضي المنقضي (21)،وربط العبور بداية الحكي بنهايته،وصورّ تية التارقي.والذي جاء بوصفه عبوراً إلى الأرض المقدسة وصوّربرمزية قصة خروج بني إسرائيل من أرض مصربعد انحرافهم عن النصوص

الدينية (22) كما سعى الكوني لاستحضار الناموس المؤسس للهوية التارقية ،والتي توثقتْ عبرنصوص ورقصات وصور وشعائروغناء (23).

الخاتمة:

خلق التناسق في بناء الحكايات عند الكوني، نوعاً من الانسجام في مضمون السرد،ممّا جعل رحلة العبور تغدو نبوءات،تجسدتْ عبرالأسطورة والفانتازيا.كما تجل مضمون الرحلة في هذه الأشعار،وهي تصدع بالحنين والحب،ولتبعث زمن الطين والاحجار التمهالكة، **وواوالضائعة**.ممّا حقق هوية سردية في النص .

توصيات ومناقشات:

ـ أنّ رواية البحث عن المكان الضائع ،تعكس تصدع العلاقات وتغريبة التارقي،وجاءت وكأنّها تجسد نظرة إليوت EIiot في قصيدة "الأرض الخراب"،تتفجر بالألم والقسوة واللامبالاة.

ـ أنّ ضيق الراوي بالواحة،يبدو وكأنّه مظهرمن مظاهر الحنين إلى الطبيعة والأصل والجذروالتحرر من القيود في رومانتيكية عميقة.

ـ أنّ انفتاح تجربة الراوي على رموز دينية وأسطورية وتاريخية وتراثية ودرامية ،منحها بعداً دلاليا عميقاً.

ـ أنّ رؤية الكوني هنا،تتجاوز فكرة البعث إلى التفاعل مع أحداث التارقي والكشف عن تاريخه، والتوجه إلى المستقبل في رؤية استشرافية ،التي هي جزء من الاستبصار وفهم الواقع.

الهوامش:

1ـ انظر:زكريا إبراهيم: مشكلة البنيّة أو أضواء البنيوية،القاهرة، مكتبة مصر،لا.ت، ص29.

وانظر: يمنى العيد: السرد الروائي في ضوء المنهج البنيويّ، بيروت، دار الفارابي ،1999،ط2،ص185.

البنيّة:هي نظام أو نسق من المعقولية.وهي مفهوم ينظر إلى الحدث في نسق من العلاقات له نظامه.

2ـ إبراهيم الكوني: البحث عن المكان الضائع، ليبيا،دار الكتاب للنشر،2007،ط2.

إبراهيم الكونيّ كاتب ليبيّ تارقيّ من مواليد الصحراء الكبرى،درس الآداب في معهد غوركي للآداب بموسكو،عمل بالصحافة في موسكو،ويقيم منذ تسعينيات القرن الماضي في سويسرا.أصدر حتّى الآن ستين عملاً روائيّاً وفلسفيا،وفاز بالعديد من الجوائز.

3- انظر:نورثروب فراي:تشريح النقد،ترجمة وتقديم:محيي الدين صبحي،ليبيا،الدار العربية للكتاب، 1991 ص 210.

4 ـ انظر:بول ريكور:الزمان والسرد الزمان المروي،ترجمة:سعيد الغانمي،لبنان،دار الكتاب الجديد المتحدة 2006، ط1،ص201.

5 ــ انظر:عبده بدوي:دراسات في الشعر الحديث،الكويت، منشورات ذات السلاسل،1987، ط1 ،ص137.

6ـ انظر:هوارس،فن الشعر،ترجمة:لويس عوض، القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر ،1970، ط 2، ص203.

الربات الشعرفي الأساطير القديمة كن يوحين الأغاني والفنون والعلوم،يروى أنهنّ بنات زوس، كبير الآلهة عددهم سبع بنات.

7 ــ انظر: مرسيا إلياد:رمزية الطقس والأسطورة،ترجمة: نهاد خياطة،دمشق، دار العربي للطباعة والنشر والتوزيع،1987،ط1،ص 123.

8 ــ انظر: أحمد إسماعيل النعيمي:الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام،القاهرة،سينا للنشر، 1995، ط1، ص169.

9 ــ انظر: يان أسمن :الذاكرة الحضارية،الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى، ترجمة ومراجعة:عبد الحليم عبد الغني رجب،القاهرة،الهيئة العامة للكتاب،2013،ص134.

10ـ انظر:عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، بيروت، دار الأندلس، 1983،ط 3، ص 199.

11 ــ انظر:أنورلوقا:الحاج المرتاش ،قراءة سيميائية لنص تاريخي للمقريزي،مجلة فصول، القاهرة، المجلد الثالث عشر،العددالثالث خريف، 1994، ص258.

12 ــ انظر:عاطف جودة نصر،مرجع سابق،ص 396.

13 ــ وانظر:بول ريكور:الزمان والسرد الزمان المروي،ترجمة:سعيد الغانمي،لبنان،دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006،ط1،ص199.

وانظر:السيد إبراهيم: نظرية الرواية ،دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة،القاهرة،دار القباء للطباعة والنشروالتوزيع، 1998، ص127.

14ـ انظر:إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر،القاهرة،دار الشروق، 2018،ط2.

15 ــ انظر: فوزي سعد عيسى:الواقعية السحرية في الراوية العربية،الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية للنشروالتوزيع، 2009،ص 27.

16ـ انظر: فوزي سعد عيسى،مرجع نفسه، ص 84.

17ـ انظر: يان أسمن :مرجع سابق،334.

18ـ انظر:علاء خالد:فردوس المدينة الضائع: قراءة في رواية الصحراء،الرياض،دارالفصيل الثقافية،2019 ، ص 50.

19ـ انظر: نورثروب فراي:تشريح النقد،مرجع سابق،ص228.

وانظر: ويكيبيديا ـ الموسوعة الحرة.

وانظر:جعفري بارندر:المعتقدات الدينية لدى الشعوب،ترجمة:عبدالفتاح إمام،مراجعة:عبد الغفارمكاوي،الكويت،سلسلة عالم المعرفة، العدد 173، 2014،ص186.

الطوطمية هي ديانة مركبة من الأفكار والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم،والطوطم يمكن أنّ يكون طائراً أوحيوان أونباتاً أوظاهرة طبيعية أومظهراً طبيعياً مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً.وكلمة طوطم مشتقة من لغة الأبجوا الأميركية الأصلية.الطوطم الذي تنتسب إليه القبيلة،هو رمز القوة الحيوية أي رمز الأنوثة

20ـ برغم هكذا وردت ،والصحيح بالرغم هذا وكل ما ورد في النصّ .

21ـ انظر: بول ريكور:الزمان والسرد الزمان المروي،ترجمة: سعيد الغانمي،لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006،ط1،ص306.

22 ـ انظر: يان أسمن :مرجع سابق،ص422.

23 ـ انظر: يان أسمن: مرجع نفسه، ص 91.